الفصل الثالث

حوارات المصادرة

obeikandl.com

obeikandl.com

المفكر الإسلامى جمال البنا.. وفقهاء السلطان

للمفكر الإسلامى الكبير جمال البنا اسهامات فكرية متعددة فى مجالات تجديد الخطاب الدينى وحرية التعبير والعمل النقابى وحقوق الإنسان وغيرها من مجالات المعرفة المختلفة التى أثرى دروبها عبر رحلة معرفية استمرت لأكثر من خمسين عاماً بل ربما منذ مولده فى ١٥ / ١٢ / ١٩٢٠ بمركز المحمودية بمحافظة البحيرة لأسرة إسلامية عريقة فوالده عالم إسلامى له عدة مؤلفات ، وشقيقه الأكبر حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ، ويتميز إنتاج جمال البنا الفكرى بالغزارة والتنوع فله حتى الآن أكثر من مائة كتاب منها " ديمقراطية جديدة " و " موقف المفكر العربى تجاه المذاهب السياسية المعاصرة " و " الحرية النقابية " و " الأصول الفكرية للدولة الإسلامية " و " تاريخ الثقافة العمالية " و " الدولة العصرية " و " حرية الاعتقاد فى الإسلام " و " مسئولية فشل الدولة " و " الدولة الإسلامية فى العصر الحديث " الذى تمت مصادرته منذ أيام قليلة من قبل مجمع البحوث الإسلامية بدعوى الحفاظ على العقيدة وكان لنا معه هذا الحوار :

" فى البداية سألناه عن علاقته بحسن البنا وإلى أى مدى تأثر بفكره ولماذا لم ينضم إلى جماعة الإخوان المسلمين رغم معاصرته لنشأتها ؟

أولاً وبصفة مبدئية لا أعلق أهمية كبيرة على هذه النقطة لأنى أقول - دائما - إن الأهمية للمقول لا القائل ، وإننا فى مجال الأفكار لا نركز على جنس أو عقيدة أو مزاج القائل ولكن على طبيعة دعوته وصلاحيتها من الناحية الموضوعية فحيث إننى أمت إلى الأصل الإسلامى بصلة وثيقة بحكم النسب إلا أننى كنت - دائما - صاحب رأى مستقل حتى فى طفولتى الباكرة حتى إن زملائى فى المدرسة الابتدائية لقبونى " بالفيلسوف " بالإضافة إلى تربية مدنية أو كما تقولون " علمانية " وليست دينية ، كما هو الحال فى معظم نشأة الدعاة الإسلاميين - وكان لى اتجاهى الخاص ناحية الأفكار الشعبية والمذاهب السياسية والحركات الدستورية التى تحارب فى سبيل الحرية ، وقد كان لهذه الاتجاهات أثره الكبير فى أن أكون فكراً خاصاً مستقلاً عن الفكر الإسلامى .

فقهاء السلطة

اخذت كثيراً على فقهاء السلطة الذين عالجوا الدولة من المنظور الفقهى وليس

من المنظور السياسى وهى نقطة خطيرة تهدد إقامة دولة مدنية علمانية ؟

فيما يتعلق بقضية الحكم تمثل المرحلة الأخيرة من تطور فكرى ، ولكن كانت هناك محطات عديدة من التطور وكان أخرها " نظرية الحكم فى الإسلام " من خلال دراسة طبيعة السلطة ، ونتيجة لذلك وجدت أن السلطة تفسد الأيديولوجية وهذه السلطة هى خصيصة الدولة .

ومفردات هذه السلطة هى : جيش وبوليس وسجون بحيث تكون الدولة أداة قمع ولها سلطة إجبار المخالفين على الالتزام ، وهذه هى طبيعة السلطة وهى التى تميز الدولة عن الأمة وعن المجتمع ، فالدولة لابد لها من سلطة ، والسلطة هى أداة قمع ، وبالتالى فإن هذه الحكومة لن تؤدى خيراً للقيم التى هى روح الأديان ، هذا من الناحية الأصولية بمعنى أن الأديان دعوة للهداية وللضمير وهذا ما يستحيل على الدولة أن تقوم به .

ومن الناحية التاريخية وجدنا أن تجربة التاريخ تؤكد أن دخول السلطة فى الأديان يفسدها ، فعندما دخلت فى الخلافة الإسلامية حولتها إلى " ملك عضوض " كما يقولون ، وعندما دخلت فى المسيحية حولتها من دين محبة وتسامح إلى محكمة تفتيش ، بل عندما دخلت الاشتراكية حولتها إلى قاعدة للحكم الشمولى ، هذه هى تجربة التاريخ ومن هنا لا يخالجنا أى شك فى أنه لا يوجد جو صحى لإقامة دولة إسلامية أو مسيحية فوق ذلك فإن فقهاء السلطان لعبوا دوراً كبيراً فى إفساد العلاقة لأنهم إلى حد ما قاموا بدور قلم قضايا الحكومة وقسم التشريع فيها ولابد أن تتماشى أحكامهم مع النظام القائم وقاموا بذلك مخافة أن يطاح بهم مثلما حدث للثورات الأولى كالخوارج والشيعة الذين رفضوا الملك العضوض .

موت المثقف

هل تعتقد إذن أننا الآن فى مرحلة موت المثقف ؟

هناك أشياء عديدة أدت إلى وهن دور المثقف منها الخطاب الإعلامى السائد الذى يروج للثقافة السطحية ، بالإضافة إلى اتجاه كثير من المثقفين إلى الثقافة الأوروبية دون أن يحصلوا ما يكفى من الثقافة العربية .

أكدت فى كثير من كتاباتك على مبدأ الحرية باعتباره حاضناً أولياً للإبداع

والفكر والدين فماذا تعنى الحرية بالنسبة لك ؟ وما مدى المعاناة التى واجهتها فى تأصيل هذه الفكرة داخل الفكر الدينى وقد أكدت فى أكثر من دراسة لك على أن كثيراً من الكتابات الإسلامية القديمة لم تأخذ هذا المبدأ مأخذ الجد ؟

النقطة الأولى جاء الاهتمام الأعظم بالحرية لأنها باب التقدم وكما قلنا فى كتاب " مطلبنا الأول هو الحرية " لماذا لا يكون المبدأ الأول هو الشريعة ، أو كلمة الله هى العليا ورددنا بأن الحرية هى التى تمكننا من ذلك فالحرية هى التى توضح لنا الأخطاء التى نقع فيها لأننا جميعا لسنا معصومين .

اما الفكر الدينى فيعود إلى أمرين :
الأول : الطبيعة الدينية التى تقوم على الاتباع والالتزام وعدم الخروج على النص ، فلها طبيعة اتباعية .
والثانى : عندما يتحرر المفكرون والفقهاء المسلمون من هذه الطبيعة فلا بد أن يجابهوا بمعارضة الدولة معارضة تصل إلى الإبادة والحيلولة دون إعلان فكرهم بالإضافة إلى ذلك هناك باب مازال مفتوحاً لحرية الفكر هى الحكمة التى يقول عنها " الرسول صلى الله عليه وسلم ، الحكمة ضالة المؤمن " بمعنى أن الإسلام يمكن أن يستفيد من كل الثقافات التى تفيد من معنى الحكمة ، ويا للعجب فقد كان من الحيثيات التى حكمت بها المحكمة السودانية على محمود محمد طه بالإعدام أنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة وهو الحجاب ، وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة إذن هذا هو سبب تركيزنا على الحرية وهو الذى جلب علينا المتاعب بما فى ذلك عداوة الناصريين فضلا عن الفقهاء .

فن المصادرة

هل ترى أن للأزهر الحق فى المصادرة على المذاهب الإسلامية الأخرى مع العلم أنه لا يمثل سوى اتجاه واحد هو الاتجاه السنى ؟

ليس للأزهر ولا لأى هيئة ولا للحكومة ولا لأى فرد أن يصدر وصاية على الفكر أو يصدر قراراً بالحرمان أو أن هذا حلال أو حرام وإنما توجد هذه السلطة فى الكنيسة أو المعبد اليهودى ، أما فى الإسلام فهناك فرضية تجعل الإنسان حراً بعلاقته بالله والآخرين حتى إن المرجعية فى " الشيعة " لا أصل لها

والأزهر فى حقيقته جامعة إسلامية يفترض أنها تقدم دراسات إسلامية لا أن

تراقب وتصادر ، ومن العار كل العار أن تكون لبعض رجالها صفة الضبطية القضائية فيتحولوا من رجال دين ودعوة إلى رجال عنف وممارسة بالقوة .

وكيف جاءت مصادرة كتابك " فشل الدولة الإسلامية الحديثة " ؟

أنا لم أعلم بالمصادرة إلا بعد أن اتصل بى أحد الأشخاص يوم ١٨ أغسطس الماضى ، وبعدها بيومين فوجئت بفاكس من مجمع البحوث الإسلامية يفيد بمصادرة الكتاب نظرا لأن فيه فصلاً عن زواج المتعة وهو موضوع ليس جديدا فى الفقه الإسلامى ، وهو زواج محدد المدة والخلاف الرئيسى بينه وبين الزواج الشرعى العادى إن الثانى يقوم على الدوام ، وطرحت فكرته - فى الكتاب - عن الجاليات الإسلامية فى الخارج فقد يسافر البعض إما للدراسة أو للعمل ويكون عليهم إما أن يمارسوا علاقات غير مشروعة كالزنا أو أن يتزوجوا من ملل أخرى وهو أمر غير مأمون لأنه إذا حدث طلاق للمرأة الأوروبية المتزوجة من مسلم يحق لها أن تسيطر على ثروة الزوج فماذا يفعل الشباب ؟ ، وجدت أن الإسلام يشرع مندوحة وهى الزواج " المحدد المدة " وهو أمر تقبله المرأة ومعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم أباحه لكن الخلاف فى كونه قد نهى عنه - بعد ذلك - وتاريخ هذا النهى فيه خلاف والثابت تاريخياً أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى حرمه بقوله متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا حرمتهما متعة للنساء ومتعة للحج ، ويعنى ذلك أنه كان موجوداً فى عهد رسول الله وأبى بكر وإذا كان البعض يقول بأن أبا بكر كان أكثر التصاقا بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان لا بد وأن يعرف بهذا النهى .

بالإضافة إلى ذلك فإن الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق أفتى بأن المذهب الجعفرى يجوزه كالمذاهب الأربعة لأن الشيعة تبيحه فيما بينها ، ومعنى ذلك أن حرمته ليست أكيدة ، من أجل ذلك كان من فحص الكتاب ليس لديه المعرفة الدقيقة بالإضافة إلى ذلك فإن المصلحة تقضى به ، والمصلحة من أصول الفقه الإسلامى ، بل ذهب بعض الفقهاء إلى أن المصلحة هى المقصد الأساسى والأصل للشارع فإذا وجد نص يخالف المصلحة أخذنا بالمصلحة وأولنا النص .

تجديد الخطاب الدينى

تجديد الخطاب الدينى عبارة تتردد منذ فترة طويلة لكن إلى الآن لم نر سوى تصورات نظرية لم تخرج إلى حيز الفعل فكيف ترى الخروج من هذه الأزمة ؟

قضية التجديد جزء لا يتجزأ من الإسلام وأول من نادى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال جددوا إيمانكم ، وهناك حديث عن أن الله يرسل إلى هذه الأمة من يجدد أمر دينها على رأس كل مائة عام .

ومن ناحيتنا فقد أصدرنا كتاباً عام ١٩٤٦ تحت عنوان " فهم جديد للدين " إذن هذا مطلب قديم جدا ، وقبلنا طالب به الأفغانى ومحمد عبده وإقبال لأنه ليس من الطبيعى أن يظل الخطاب الدينى على ما كان عليه منذ ألف عام ، لكن المؤسسة الدينية التى تتبع المذاهب المقررة لا تتصور وجود من هو أكثر فكراً وعلماً من مالك وأبى حنيفة وابن حنبل والشافعى .

الأهالى أغسطس ٢٠٠٤

obeikandl.com

الكاتبة الكويتية ليلى العثمان.. والكتابة من نقطة الحرية

الكاتبة الكويتية " ليلى العثمان " صوت روائى وقصصى متميز على المستوى العربى بما تمتلكه من جراءة فى التعبير عن المسكوت عنه من أحوال المرأة العربية عامة والخليجية بصفة خاصة ، وربما هذا التمرد فى الكتابة هو ما ألب ضدها دعاة المجتمع الأبوى الطبقى المشوه ، فحكم عليها مع بداية العام ٢٠٠٠ بالحبس هى والشاعرة الكويتية د. عالية شعيب بتهمة اقتراف الممنوع ومناوشة المحرم ، وهى تهمة عادة ما يلجأ إليها أصحاب الفكر الأحادى لتصفية الآخر فكرياً وجسدياً .

وكتابة " ليلى العثمان " تعد تأريخاً سردياً لواقع المرأة فى الخليج العربى ، بما فيها من دعوة صريحة لتحرر المرأة العربية من قيود المجتمع الذكورى ، الذى لم تنص دساتيره على حقوق المرأة إلا بشكل جزئى ومبتسر .

وفى زيارتها الأخيرة للقاهرة سلمت " ليلى العثمان " مجموعة قصصية جديدة لإحدى دور النشر تحت عنوان " ليلة القهر " والتى رأيت فيها دلالات متعددة عما عانته الكاتبة فى السنوات الأخيرة من ملاحقة جماعات الإسلام السياسى الذين وصموا كتاباتها بالإباحية ونشر الفسق والفجور ، لذا سألتها فى البداية :

ما هى دلالة العنوان فى " ليلة القهر " ؟

القهر له أشكال متعددة ، فهناك القهر السياسى ، والقهر الإجتماعى ، والقهر النفسى ، وليس بالضرورة أن كل قهر أكتب عنه هو قهر خاص ، فالكاتب يتجرد - أحيانا - من داخله ، فيكتب عن قهر الآخرين ، من البسطاء الذين لا يستطيعون أن يعبروا عن قهرهم بأى شكل من الأشكال .

و" ليلة القهر " هذه هى ليلة من آلاف الليالى التى تعانى منها المرأة فى كل مكان .

وقد تكون هذه القصة التى تحمل نفس العنوان بها موضوع مختلف أسقط الضوء على امرأة بعينها ، امرأة تنظف " الحمامات " فى المطارات ، وكيف أنها تعيش - دائما - مخنوقة برائحة المراحيض ، مع أنها تشم عطور النساء الداخلات والخارجات من الحمام ، تشتهى أن تمتلك عطراً ، لكنها يوم أن

امتلكت هذا العطر وزادت رغبتها بمفاجأة زوجها به ، فإنه يثور عليها ، ويستغرب رائحتها ، لأنه اعتاد أن يشم رائحتها اليومية ، فتعيش ليلة قهر شديدة السوء بالإضافة إلى ذلك فإن المجموعة تحمل أشكالا عديدة من القهر الاجتماعى والسياسى .

بما تحمله القصة من معاناة للمرأة ـ بشكل عام ـ هل نستطيع أن نقول إنها تعبير رمزى عن واقع المرأة العربية ولو بشكل مجازى .

نعم بالتأكيد فتلك المرأة التى تعانى من الاختناق وتشتهى أن تشم عطراً جميلاً وشهياً هى نفسها تلك المرأة العربية فى العموم التى تعيش فى مجتمعاتنا المخنوقة بشتى وسائل الإرهاب والعنف والقهر والظلم فتشتهى عطر الحرية .

الإصلاح الدستورى

قرأت مؤخراً عن الإصلاح الدستورى فى الكويت وأخص بالذكر فيه وضعية المرأة ، كيف ترين الآن ما يحدث فى الكويت فى ظل الإصلاحات الدستورية ؟

مع الأسف الشديد المرأة الكويتية قطعت أشواطاً كبيرة فى المطالبة بحقها السياسى وهو الحق العام الذى ظلت محرومة منه ، لكن ـ دائما ـ كان يتصدى الرجعيون والسلفيون لهذا الحق .

حتى عندما أصدر الأمير المرسوم الأميرى بمنح المرأة حقها السياسى رفض هذا المرسوم فى البرلمان لأن المسيطرين داخل البرلمان هم القوى السياسية الإسلامية .

وما يؤلمنى الآن أن هذه القوى ذاتها هى التى شكلت حزباً دينياً معلناً لأول مرة بعد التغيرات الأخيرة وما حدث من أحداث فى الكويت وهجوم الناس ضد تلك القوى ، تبنت هى الآن حق المرأة ، وكانت أولى مطالبتها على لائحة بيانها " المطالبة فى حق المرأة فى الانتخاب والترشيح " حتى تعود وتستقطب الإعجاب والرضا عنها .

المرأة الكويتية المثقفة ألم تفهم جيداً هذه اللعبة الخطيرة ؟

ليست المرأة المثقفة ولكن الإنسان العادى يفهم هذه اللعبة ، ولكن ـ هنا الخطورة ـ أنا فقط يقلقنى سؤال واحد ، أن كل النساء المنتميات لهذه الأحزاب الدينية سواء سلفية أو الإخوان عندما كن يخرجن بالآلاف رافعات اليافطات التى

تقول " لا نريد هذا الحق السياسى لأن ولاية المرأة حرام " .

كيف ستنظر إلى هؤلاء الآن بعد أن غيروا مواقفهم ، فهذا التناقض هو لصالح وعى المرأة الآن ، بأن تعى بأن هذه الأحـــزاب لا تنطق باسم الدين وإنما تنطق باسم أحزابها ومصالحها الخاصة .

تجربة مريرة

أكتويت كثيراً بنار المصادرة أرجو إلقاء الضوء على هذه التجربة المريرة ؟

أنا هنا لن أدعى البطولة وأقول أننى وحدى من عانى من هذا ، حتى الرجال فى بلدى الذين يقفون موقفا مناهضاً للأحزاب تعرضوا أيضا للمساءلة والضغوط مثل الدكتور أحمد البغدادى والأستاذ أحمد الدين ، صاحب مكتبة " قرطاس " والذى قام بنشر كتاب " الله والجماعة " لكاتبه محمد غانم ، وغيرهم ـ أيضا ـ من كتاب الصحافة اليومية ممن يعانون من ملاحقة تلك الأحزاب .

التجربة بالنسبة لى لم تكن سهلة خاصة إننى أم وقد ربيت أولادى تربية عالية وتربية ملتزمة فى حياتهم ، فإن اتهم بأننى داعية للفسق والفجور والإلحاد فقد كان الألم هنا شديداً ، وكنت فى قلق بأن يؤثر هذا على أبنائى ولكن ـ والحمد لله ـ تربيتى لهم لم تذهب هدراً وقد وقفوا إلى جانبى بكل قواهم العاطفية والفكرية .

فقه الخوف

هل كانت المصادرة على مجمل الأعمال أم على عمل بعينه ؟

على ثلاثة أعمال هى: " الرحيل " و" فى الليلة تأتى العيون " وكتاب " الحب له صور " بالنسبة للمحاكمة ، ولكن بعد المحاكمة أصبح أى كتاب جديد لى يشكل ما يشبه الخطر عليهم .

حتى الآن عدد الكتب الممنوعة سبعة كتب بما فى ذلك كتابى " المحاكمة " وهو مقطع من سيرة الواقع الذى سجلت فيه هذه الأزمة التى عشتها .

هل هذه المصادرة بتفاصيلها الشديدة الوطأة تركت آثارا سلبية بداخلك ـ بمعنى هل أوجدت ما يمكن أن نسميه بالرقيب الداخلى ؟

هناك ضغطان فى هذا الجانب :

الضغط الأول : أشرت إليه فى البدء وهو الخوف فى تكسر العلاقة بينى وبين أولادى ، وقد تجاوزته لأن موقف أولادى كان شهما .

الضغط الثانى : هو أن يبرز هذا الرقيب الداخلى ليحاسبنى ويقلقنى ، لكننى منذ اللحظة الأولى ، أزحته جانباً وبشراسة وبدليل أننى وأثناء محاكمتى وهى لم تتم بعد كنت أبدأ بكتابة كتاب المحاكمة .

أنا أكره رقيب وزارة الإعلام ، فكيف أقرب منى رقيبا أخر وهو برأيى أخطر من رقيب وزارة الإعلام ، لأن رقيب وزارة الإعلام سيراقبنى بعد أن انتهى من الكتابة ، وهنا أثناء الكتابة أكون أنا حرة فيما أكتب أما الرقيب " الأنا " سيكون مسيطرا على أثناء الكتابة ، ولذلك لم ولن أسمح له بالدخول إلى مكتبى وأنا أكتب أو التلصص على حروفى وأفكارى .

مسميات قديمة

الرقيب والرقابة والمصادرة مسميات طفت على السطح العربى بشراسة ، ترى لماذا ؟

هذه المسميات والأسماء التى تتحدث عنها ليست جديدة على مجتمعاتنا أو حتى على المجتمعات الآخرى فمنذ بدأ التاريخ والملاحقات موجودة ، ولكن شرها يتفاوت .

إذا نظرنا إلى مرحلة الستينيات مثلا وهى مرحلة المد القومى والتلاحم العربى لا نجدها بهذه الصورة ، لكن بعد الهزائم المتكررة تخرج هذه الأفاعى من الجحور منتهزة فرصة الضعف الإنسانى والهزيمة ، ستبدو وتصبح واضحة .

هل يلعب الوهن السياسى الذى تعانى منه كثير من الأنظمة العربية دوراً كبيراً فى تكثيف دور الرقباء ؟

بالتأكيد . . نلاحظ أن كل هزيمة يزداد معها ذلك تؤدى إلى مزيد من خوف الأنظمة على نفسها فتبدأ بالدفاع عن نفسها ولو خفية بفرض الرقابات الأكثر .

وأعتقد أن كل مواقف السلطات والأنظمة مضحك ومثير للسخرية لأن زمان عندما كانت السلطات والأنظمة تخلق هذه المؤسسات الرقابية ، كانت ربما قادرة

على حجب كثير من الحقائق أما الآن ، ونحن فى عصر العولمة والإلكترونيات والفضائيات والإنسان يشاهد كل شىء ويرى الحقائق فإنه الآن أصبح قادراً على كشف كذب هذه السلطات وتزويرها للحقائق والتاريخ .

من الذى تقدم بالدعاوى القضائية ضدك ؟

الذى تقدم بالدعاوى للمصادرة أربع جماعات سلفية وجاء فيها ضرورة منع كتب د . ليلى العثمان لأنها تحرض النساء على الفسق والفجور كانت هذه هى التهمة .

أنا لا أشكك فى نزاهة القضاء الكويتى حتى الآن هو الوحيد الذى لم يتلوث لكنه - أيضا - يبدو أن الفترة - فى أثناء محاكمتى - كانت تميل إلى أن أحاسب وقد سعوا كثيراً بضغوط مختلفة حتى تتحق لهم إدانتى .

أثناء المحاكمة كانت هناك إغراءات كثيرة لى ولزميلة اتهمت معى بارتداء الحجاب حتى يغفر لنا ، لكن زميلتى خذلتنى ليس وحدى بل خذلت جميع الأدباء والمثقفين والمفكرين العرب الذين وقفوا موقفاً شريفاً مع قضيتنا فارتدت الحجاب قبل إصدار الحكم بشهور ، فكانت النتيجة إنها برئت رغم أن تهمتها أشد من تهمتى لأن تهمتها " قذف الذات الإلهية " أنا رفضت مثل هذا الأسلوب وصممت على مبدئى وليكن ما يكون .

ما حيثيات الحكم ؟

الحكم الأول السجن لمدة شهرين فتم دفع الغرامة ورفعت استئنافاً فى الاستئناف حكم بسنتين سجناً فدفعت غرامة أكبر ونجوت .

كم كانت الغرامة ؟

كنت فى بيروت عندما صدر الحكم الأول وكنت سأنفذ الحكم الأول " الشهرين " لسببين الأول : أننى كنت واثقة أن الأمير سيختصر المدة كما اختصر لأحمد البغدادى فتصبح شهراً ، الثانى : كنت أنوى أن أخرج من السجن بكتاب " يوميات سجينة " أفضح به ما يحدث فى سجن النساء لكنى كتبت كتاب " المحاكمة "

إذن خرجت من التجربة بكتاب إبداعى ولذلك كان إهدائى فى الصفحة الأولى

من الكتاب هو شكر للأربعة الذين رفعوا على القضية لأنهم دفعوني لكتابة إبداع جديد ، وقد كانت الغرامة الأولى خمسين ديناراً ، وأما الغرامة الثانية فعن كل سنة ألف دينار وعن نشر الكتب ٥٠٠٠ دينار ثم خفض إلى ١٥٠٠ دينار كويتي .

الأهالي سبتمبر ٢٠٠٥

obeikandl.com

حسن طلب ستون عاما من الشعر والمصادرة

" ستون عاماً من الشعر والمشاكسة والتجريب والغوص فى تخوم القصيدة بحثا عن جوهر المعنى "

ربما تكون هذه العبارة أقل ما توصف به تجربة الشاعر حسن طلب ونحن نحتفل بعيد ميلاده الستين ، نظرا لمكانته التأسيسية فى جيل السبعينيات - وتحديدا - من خلال جماعة أضاءة ٧٧ ، هو الشاعر الذى ربط الحداثة بالتراث دون التخلى عن الجماليات الفنية كل على حدة ، وهو خريج كلية الآداب قسم الفلسفة جامعة القاهرة ١٩٦٨ ، والحاصل على الدكتوراه فى علم الجمال برسالة عنوانها " دلالة الرمز ووظيفته بين التجربتين الدينية والجمالية " ١٩٩٢ .

وهو قبل ذلك وبعده صاحب مدرسة شعرية أطلق عليها المفكر الكبير محمود أمين العالم ، الكلاسيكية الجديدة " من خلال دواوينه " وشم على نهدى فتاة " ١٩٧٢ ، و " سيرة البنفسج " ١٩٨٦ ، و " أزل النار فى أبد النور " ١٩٨٨ ، و " زمان الزبرجد " ١٩٨٩ ، و " آية جيم " ١٩٩١ ، و " لا نيل إلا النيل " ١٩٩٣ .
وهو الشاعر الذى اصطدمت تجربته بالمؤسسة لربطه بين المقدس والجميل فصودرت بعض دواوينه " كآية جيم " وأخير " حجر الفلاسفة " وهو من قبل ومن بعد ذلك الريفى الذى يقف صامداً فى وجه المدينة بوجه برئ وقلب طيب .

فى البداية سألته عن فترة التكوين ، وهل اختلفت الرؤية لذلك الشاب القادم من صعيد مصر وبين حسن طلب أستاذ علم الجمال الأدبى ؟

- للأسف أعترف أننى فشلت فى قتل الأب ، فشلت فى قتل الطفل الصعيدى الذى ربى فى بيئة صعبة قاسية بيئة جبلية فى مدينة " طهطا " بمحافظة سوهاج حيث يعتبر الجبل شاطئاً للنهر ، بيئة مرتبطة بالطبيعة والإنسان ، عندما يجد المرء أن جميع انفعالاته قد جاءت من بيئة من هذا النوع ، عندما يجئ إلى المدينة بصخبها وعلاقاتها السريعة ووجهها الأصم الأغبر ، تكون هناك صدمة كبرى ، وأعتبر نفسى من الذين فشلوا فى التكيف معها ، وهذا بالتالى عاد على بالخسارة فى بعض الأمور ، وأستطيع أن أقول إننى لم أستطع أن أتلون بالشكل الذى يجعلنى ابن مدينة حقيقيا ، فالمدينة بالنسبة لى ، صفقة خاسرة ، لكنها

ضرورية .

ما مدى تأثير هذه الصدمة على تجربتك الشعرية ؟

- فى حقيقة الأمر أنا لم تحركنى صدمة المدينة على المستوى الشعرى ، ولم تجذبنى إليها شعرياً ، إنما التى جذبتنى إليها بسحرها هى اللغة ، وربما يعود ذلك إلى تكوينى الأول ، فأنا ابن رجل أزهرى كان يعمل مأذونا ، وكانت عنده مكتبة بها الكثير من كتب التراث تربيت عليها ثقافياً ، ورغم ذلك فأنا من الذين يحبون أن يفصلوا بين حياة الفنان وفنه ، فعلى مستوى الحياة لى مشاكل مع المدينة ، وإن ظهرت على مستوى الشعر ، مما يشغلنى هو الهم الشعرى وليس ما أعانيه فى الحياة ، وأرى أن مسألة الربط بين الحياة والشعر ميراث رومانسى كنت سعيدا بالتخلص منه ، وأرى أن كثيراً من أبناء جيلى كانوا يرفعون شعارات الرومانسية لكنهم فى الغالب يقعون فى أسرها ، لأنهم يدورون حول ذاتهم أما أنا فأتحدث عن مركزية الذات .

تعميق الرؤية

يرى كثير من النقاد أن تجربتك الحقيقية بدأت بديوان " سيرة البنفسج " معتبرين أن " وشم على نهدى فتاة " لعب على تجارب شعرية سابقة ؟

- أنا معهم - تماما - فهم محقون كل الحق ولا أخفى عليك فأنا سعيد لأننى لم أستهلك فى تجربتى عدة دواوين حتى أقف على قدمى ، وأعتبر الديوان الأول " تمرين على الشعر " ولذلك امتنعت عن النشر من عام ١٩٧٢ حتى ١٩٨٦ ، مع أننى كنت قد كتبت أكثر من مجموعة ، لكننى عند إصدار " سيرة البنفسج " انتخبته منها ، لأننى كنت مصرا على أن يكون الديوان الثانى الذى يقدمنى إلى الناس بوصفى " حسن طلب " وأنصح الشعراء الشباب أن يفعلوا ذلك لأنى أرى أن لديهم رغبة فى نشر كل ما يكتبونه دون وقفة لتلمس صوتهم الخاص لذلك نجد أن معظمهم يندثر .

كيف استطعت أن توجد هذا التصغير الحميم بين الأسطورة الشعبية والدلالة المعرفية الراهنة داخل النص ، رغم أن فى ذلك مغامرة كان من الممكن أن تأخذ بالقول الشعرى إلى الغموض ؟

- هذا سؤال فى صميم التجربة الشعرية ، فأنت تصف الخيط الرفيع فى

التجربة الشعرية أنت مطالب بأن تمشى عليه حتى لا تقع على أحد الجانبين فأما أن تسقط فى " التثقاف " أو تسقط فى الجانب الأخر من أرضية " المباشر والتقرير " وبدون الإحساس بهذا الخطر قد تفقد التجربة أهم خصائصها وهى المغامرة فلا بد أن تغامر ، أن تلقى بنفسك إلى التهلكة ، وفى أغلب الأحيان لا تكون واثقاً من النجاة لكن عليك أن تكون مخلصا .

الكلاسيكية الجديدة

وصفك محمود أمين العالم بأنك تكتب فى إطار من " الكلاسيكية الجديدة " وكذلك " إدوار الخراط " الذى أطلق على قصائدك "حداثية التراث " هل نستطيع أن نقول إن البناء الصوتى الذى ميز تجربتك ، كان صدى لتأثيرك بالقصيدة الكلاسيكية ؟

لا أخفى عليك ، فى فترة السبعينيات وحتى أوائل الثمانينيات كنت أرفض تهمة الكلاسيكية وأربطها بفكرة الجمود ، أما فى الفترة الحالية فلا أنزعج ، وأقول لنفسى ، ومن ذا الذى يكره أن يكون كلاسيكياً ؟ بمعنى الرسوخ والقيمة ، إذا فهمنا الأمر بعيداً عن التوصيفات المذهبية ، فرامبو كان كلاسيكيا وشكسبير كان رومانسيا ، بصدق تام أصبحت أحس بأن أى حكم نقدى يصدر عن تصنيفات جاهزة مشكوك فيه فكل قصيدة عظيمة بها جانب كلاسيكى ، وألتمس العذر للأستاذين على الرغم من اختلافى معهما حول الأعمال النقدية جاهزة التصنيف وأكثرها خطأ فى الوقت نفسه .

الزمن الشعرى

تحاول ـ دائما ـ فى دواوينك التأريخ للقصائد هل تعول إذن على فكرة الزمن الشعرى وأنت القائل " واقفا ـ كنت ـ على عقرب استعيد الوقت من مقبل عمرى / من بقايا الزمن المنسى / من عهد الرضاعة " ؟

ـ هناك فكرة أريد أن أوضحها فى نشر الشعر هى التى تحتم على إثبات تاريخ القصيدة أكثر من أى شاعر أخر ، لأننى أعمل فى خطة كتابية لأكثر من عمل فى وقت واحد ، فعلى سبيل المثال ديوان " لا نيل إلا النيل " الصادر عام ١٩٩٣ نشرت أولى قصائده عام ١٩٧٧ ، وكان لدى حدث قوى من تكملة الديوان ، لكن بعد سنتين من نشر هذه القصيدة بدأت بمشروع أخر يبدأ بقصيدة " البنفسجية " ثم تقاطع معهما " ديوان زمن الزبرجد " لدرجة أن ديوان " النيل " لم يكتمل سوى عام ١٩٩٢ بعد أكثر من خمسة عشر عاما ، فلو ضممت القصائد

بدون هذا المخطط لا أحتاج لتاريخ ، لكن بما أننى أعمل فى مشروعات متشابكة فغالبا ما أنشر القصائد الحديثة أولاً قبل القصائد القديمة .

النحت اللغوى

تأخذك نشوة الكتابة وهدير الحالة الشعرية إلى شيئين مهمين أولهما : فكرة النحت اللغوى ، وهذا يستتبع فكرة أخرى وهى الإتيان بمستغرب اللفظ ألست معى أن ذلك ربما يضع الأكثرية من تجربتك فى منطقة وسطى بالنسبة لعملية التلقى ؟

ـ هذه مشكلة ليس حلها على وحدى لكن على القارئ أيضا لأننى أعتقد أنى أتوجه إلى قارئ نوعى ، وقد شاهدت الناس فى قريتى فى الصعيد يستمعون إلى القرآن الكريم وبه ألفاظ مثل " ضيظى " و " سدرة المنتهى " وهم لا يعلمون معناها الحقيقى لكن يخمنون المعنى من السياق .

لكن القرآن به طاقة قدسية لا توجد فى الشعر ؟

ـ أردت أن أنقل هذه القدسية إلى الشعر ، على سبيل المثال حينما قرأت سيرة الشاعر " الفرزدق " هزتنى ، وبها هذه الحكاية الطريفة ، إن الشاعر سمع أحد الشعراء ينشد بيتا شعريا فسجد ، وحينما راه المصلون فى المسجد يفعل ذلك نهروه ، فرد عليهم قائلا : " هذا موضع سجدة فى الشعر ، أعرفه كما تعرف موضع السجدة فى القرآن " .

ويا صديقى كلنا يقضى كثيرا من العمر فى التجربة فلابد أن تحس أنها مقدسة ، ولولا أننى أخاف أن يساء فهمى لقلت إنها لا تقل قداسة عن القرآن ، القدماء قالوا ذلك لكن نحن أجبن منهم ، ولذلك ترى فى الغرب أن الشعر فى بعض بلدانه قد حل محل الدين ، ولم يبق من التراث الدينى هناك سوى الشعر الموجود به .

هذا بالتالى يستدعى سؤالا آخر حول الصراع الدائم بين المقدس والجميل ؟

ـ الشعر كله خوض فى هذه المناطق الشائكة ، يجذبنى جداً النظر إلى الشعر من تلك الوجهة ، لا أستطيع أن أنظر إلى جانب المنع ، ولكن أنظر إلى الأمر من جانب هل أنت مقتنع بتلك التجربة ؟ إذ إن الأمر كذلك فعليك أن تخوضها وأن

تتحمل تبعاتها ، الكتاب الكبار فعلوا ذلك نجيب محفوظ فى " أولاد حارتنا " والشعراء جميعا بداية من " البارودى " كانوا يرون أن كتابة الشعر بها رائحة " القداسة " ولماذا ظن القرشيون أن القرآن شعر ؟ لأن هناك صلة بينهما فكلاهما يتحدث لغة واحدة هى لغة " الرمز " لا الشعر ولا النص الدينى يستطيع أن يكون مباشرا ، لا بد أن يلجأ إلى لغة المجاز وهى لغة رمزية ، فهما يقفان على أرض اللغة ، وهذا يسبب النزاع الدائم بين المقدس والجميل فرجل الدين يريد أن يقف على تلك الأرض وحده ، والشاعر يريد أن يتلمس حريته ، لا يريد أن يكون تابعاً لأحد لا الدين ولا السياسة .

ضد المصادرة

ولكن هذا الخطاب قد ألب عليك المؤسسة الثقافية والدينية وعرضك للمصادرة كثيراً فى " آية جيم " وأخيراً " حجر الفلاسفة " ؟

مادمت تعرف أنك تسير على طريق شائك ، وعلى أرض ملغمة ، لأنك تغامر فى طرق لم يطرقها أحد قبلك فعلا فأنت تجهل ما يحدث لك ، وعلى أن أدفع الثمن ليس المصادرة فقط ، ولكن محاربة المؤسسة الثقافية وأن يضعك المثقفون بين قوسين ، هذه مشاكل لا بد أن تكون جاهزاً لها ، رغم ذلك لم أسع إلى إثارة أى ضجة إعلامية ولكنى سعيت وراء التجربة الشعرية مهما كلفنى ذلك ، ولن أغير قناعتى ، فهو ثمن مقدر على أن أدفعه فى صمت .

أما عن مصادرة " آية جيم " فقد كنت أتوقع أن يصادر من خلال مقطع " أعوذ بالشعب من الشيطان الرجيم " توقعت أن تثير هذه الجملة اعتراضاً سياسياً وليس اعتراضاً دينياً ، ولكن ما أثار دهشتى أنه صودر من قبل جهة دينية عكس ما توقعت .

ولا أنكرك القول أننى أحس بينى وبين نفسى أن كثيراً من أمالى القادمة ستكون معرضة للمصادرة ، وإذا صودر عمل لى فى المستقبل سأظل كما أنا ، ولن أستغله كما يفعل صغراء الشعراء .

أزمة جيل

" لا نيل إلا النيل " أعتقد أن هذا الديوان تسطير لتجربة جيل السبعينيات بآلامها وطموحاتها وانكساراتها وتجاوزها ، ألست معى فى هذا الرأى ؟

معك حق ، فهذا الديوان ولد فى فترة الرغبة فى تحقيق شىء قريب ، وكلها

مشاعر كانت تملأ الجيل كله ، وكانت تحركنا جميعا ، وحينما بدأت انكساراتنا فى الثمانينيات وما تلاها كانت بقية القصائد تجسيدا لهذا الانكسار ، على سبيل المثال القصيدة الأخيرة فى الديوان " الحاكمية للنيل " تجسيد لمواجهة الزحف الظلامى الذى اغتال د. فرج فوده وحاول اغتيال نجيب محفوظ ، هذا المذهب الغاشم الذى يغتال العقول ليصدر لنا الحواس الغليظة والبلادة والتدين الشكلى العقيم .

" إضاءة ٧٧ "

" إضاءة ٧٧ ، كانت محاولة للخروج والتجاوز والتعبير عن الذات - كيف تقيم هذه التجربة بعد أكثر من ربع قرن ، باعتبارك أحد الفاعلين فيها ؟ ولماذا لم تستمر فى إصدارها الثانى ؟

- جماعة " إضاءة ٧٧ " جماعة متميزة فى خريطة الشعر العربى ، لكن بعض أعضائها كان ينقصه الوعى بطبيعة المرحلة التى تميز أى جماعة شعرية أو غير شعرية ، فللجماعات مراحل منها مرحلة التكوين والتبشير والحماسة المشتركة ، ومن المفروض أن تنتهى هذه المرحلة عند حد معين لتبدأ مرحلة جديدة ، نتجاوز فيها العمل المشترك إلى العمل الفردى الذاتى ، ويصبح كل إنسان مسئولا عن نفسه فقط .

إذا لم تؤد الجماعات إلى ظهور أفراد لهم أصواتهم الخاصة ، ولهم نهجهم الخاص فهى جماعات فاشلة ، وإذا استمرت أكثر من عمرها فهى فاشلة ، ولذلك وجدت أن الإصدار الثانى تمديد مصطنع لعمر " اضاءة " لأنه سيحولها إلى جمعية تعاونية .

السبعينيون سقط منهم من سقط فى خضم الحياة وبقى منهم من بقى ، من ترى - إذن - أنه سيبقى بعد غربلة التاريخ من ذلك الجيل المشاكس ؟

فى حقيقة الأمر وحتى أكون منصفاً ، أرى أن أبرز شعراء السبعينيات وأقدرهم على البقاء لأنهم صنعوا لأنفسهم أرضاً صلبة يقفون عليها هم " حلمى سالم " و " عبد المنعم رمضان " و " محمد سليمان " وهناك بعض الشعراء الآخرين يحاولون صنع هذه الأرض وعليهم أن يقدموا تضحيات كبرى كى يقفوا عليها بثقة وثبات وتميز ، ومن الممكن أن نشير إلى جمال القصاص وغيره خوفا من الذاكرة .

الأهالى ٧ ديسمبر ٢٠٠٤

أسامة أنور عكاشة يواجه عمرو بن العاص

أدت التصريحات التى أطلقها الكاتب الدرامى الكبير أسامة أنور عكاشة والخاصة بشخصية " عمرو بن العاص " إلى إثارة الرأى العام خاصة الفئة التى تنتهج رؤية أحادية فى تحليل الأمور وقراءة التاريخ ، وتعتبر أن أى شخصية تاريخية إسلامية لا بد أن تضفى عليها هالة من القداسة والنورانية معتمدة على الخلط غير المبرر بين الدين والتاريخ ، مما جعل أحد محامى " الإخوان المسلمين " يقوم برفع دعوى حسبة يطالب فيها بالتفريق بين " عكاشة " وزوجته مدعياً أنه بتصريحاته السابقة خالف أمراً معلوماً فى الدين بالضرورة . . ـــ!!

حول ملابسات هذا الموضوع كان لنا هذا الحوار مع عميد الدراما العربية والذى أكد - فى البداية - أن المسألة بدأت بحوار صحفى كان فيه سؤال عن " المسلسلات التاريخية " فأجاب " عكاشة " بأن مثل هذه المسلسلات لا تتوخى الصدق نظرا لإظهارها مناقب ومحاسن الشخصيات دون أدنى ذكر للجوانب السلبية ، وهذا مناف للموضوعية وضربت مثلا على ذلك بمسلسل " رجل الأقدار" والذى تضمن سيرة " عمرو بن العاص " وقام ببطولته الفنان " نور الشريف " .

وأضاف عكاشة : لقد قلت عن " عمرو " إنه شخصية من أحقر الشخصيات فى التاريخ الإسلامى ، وأعرف أن اللفظ شديد نوعاً ما ، وقد أتاح الفرصة لمن يتحينون الفرص لإثارة الرأى العام ضدى حتى وصل الأمر إلى اتهام " العبد لله " بأنه أقترف إثماً كبيراً لسبه رجلاً من أعلام الإسلام على اعتباره أحد المقدسات ، وهو أمر مخالف للواقع والحقيقة فأنا لم أتعرض لدوره الدينى بل تعرضت للدور السياسى الذى لعبه " عمرو بن لعاص " وهو دور ليس مجهولاً درسناه نحن " السنة " وهى دراسة جعلتنا نشعر بما فى هذه الشخصية من خطل وذاتية ومؤامرة ودهاء .

المسكوت عنه

إذن لماذا لم تكتب الدراما التاريخية لتبين بعض الجوانب المسكوت عنها فى التاريخ الإسلامى ؟

لم أكتب لأن الأجواء لا تحتمل مثل هذه الدراما الآن ـ وانظر يا صديقى ـ فمجرد كلمة فى حديث صحفى أثارت كل هذا اللغط ، وأى عمل من هذا النوع سيواجه بالمنع من قبل مجمع البحوث الإسلامية ، وإذا سلمنا أنه سينجو من الرقابة الرسمية فلن ينجو من الصحافة ، فنحن نواجه أناسا يجرون أمور الحياة كلها إلى ساحة الدين حتى ولو كان الحديث عن أى شخصية إسلامية مع العلم أننا جميعا مادمنا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فنحن شخصيات إسلامية ، ولكن تخصيص وتمييز شخصية لكون صاحبها فاتحاً أو قائداً فهذا أمر لم يقره نبى أو خليفة ، ولو نظرنا كيف تعامل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، كان ينقدهم ، بل الأدلة التاريخية تؤكد أنه اتهم " عمرو بن العاص " بأنه " مختلس وذلك فى كتاب أرسله إليه حين كان واليا على مصر فإذا كان هذا الموقف قد جاء من عمر ثانى الخلفاء الراشدين فكيف يجيئون الآن ويلومونني . . !!

من ناحية أخرى أنت تعلم أن فيلمى " الرسالة " و " القادسية " ممنوعان من العرض فى مصر ، فماذا نكتب فى هذا الجو الملئ بالمحظورات ، وكأن من المحتم علينا إذا تعرضنا لكتابة الدراما التاريخية أن نمجد ونعظم ونعطى الأشخاص صفات ليست لهم .

اما ما حدث فهى معركة غير مقصودة ولكن رب ضارة نافعة فقد جاءت بمثابة لقاء حجر فى بركة آسنة ، هى دعوى للجميع كى ينزعوا قناع الخوف ويسعوا إلى تطبيق دعوى د. طه حسين بالفصل بين الدين والتاريخ ، وببساطة شديدة لا بد من إعادة قراءة التاريخ بنظرة موضوعية وفقا للمنهج الذى استخدمه عميد الأدب العربى وهو " المنهج الديكارتى " فقد رسم لنا إشارة على الطريق ليتنا نسير عليها الآن .

الوعى الشعبى

إذن أنت ترى ضرورة تنقية الوعى الشعبى والتخفيف من تعميم ثقافة المقدس ؟

ـ تنوير وعى العوام والأغلبية الصامتة التى تعتقد أن كل شخصية تاريخية لا بد أن تسبق بلقب " سيدنا " فتعميم ثقافة المقدس ـ بلا رابط ـ جعلت الناس يعتقدون القداسة فيمن ليس لهم قداسة .

ويااليت المصريين يعرفون أن عمرو بن العاص قد شارك فى مؤامرة قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه بنصيب وافر نظراً لأن عثمان قد عزله من ولاية مصر وولى بدلا منه " عبد الله بن أبى السرح " ومع ذلك نرى بعض المشايخ يقولون " سيدنا

عمرو بن العاص "

تشكيل الوعى
هل ترى - إذن - أن الدراما التاريخية أفسدت وعى المواطن البسيط بتاريخه ، نظراً لتقديسها بعض الأشخاص المختلف حولهم تاريخياً ؟

- الدراما لم تؤثر بالإيجاب إنما الذى أثر - وبطريقة سلبية فى الوعى الشعبى - هم فئة موظفى الدين والمنتفعين من الدعوة الإسلامية ، رغم إن الدين الإسلامى - فى حد ذاته - هو دين العقل والتفكير ونظرة سريعة فى معظم آيات القرآن الكريم سنجد الدعوة إلى التأمل وإمعان العقل والتدبر ، لكن مع تراكم العصور وجدت طبقة أصبحت وظيفتها " الدين " لدرجة وصلت إلى ما يمكن أن يسمى بـ " الكهنوت " فقد احتكرت تلك الفئة العملية الدينية ، فأفسدوا الوعى بالتاريخ الإسلامى عند العامة .

ما رأيك فيمن يكتبون الدراما التاريخية الآن ؟
- كلهم كتاب أفاضل ، لكن لى ملاحظة فنية ، وهى أن معظمهم وقع فى نفس الفخ وهو " تمجيد شخصيات " بعينها ، مع العلم أن الدراما فى حد ذاتها عبارة عن صراع بين قطبين متعارضين ، بمعنى أننا لو تحدثنا عن شخصية تاريخية من جانب واحد - فقط - نحن إذن نسطحها ، وهذا عيب فنى كبير ، وأنا فى نفسى أعذر من يكتبون مثل هذه الدراما لأنهم مطالبون بتقديم أعمال من أجل لقمة العيش فيمتثلون لمطالب الفضائيات ، كذلك الضغوط الشديدة التى يمارسها مجمع البحوث الإسلامية ومع ذلك أنصح هؤلاء أن يبتعدوا عن الكتابة العرجاء التى تشوه وعى الجماعة الإنسانية .

لو قدر لك كتابة مسلسل تاريخى تتناول فيه شخصية ، عمرو بن العاص فمن ترشح من الممثلين القيام بهذا الدور ؟

- مع إحترامى الكامل للفنان نور الشريف الذى أدى الشخصية فى مسلسل " رجل الأقدار " أعتقد أن الفنان أحمد راتب هو أقدر الشخصيات على تقمص شخصية عمرو بن العاص حيث ملامح أدائه التمثيلى من الممكن أن تعطيك هذا الخليط والمزج بين الدهاء والذكاء والمكر والخديعة والذى اتسمت به شخصية " عمرو بن العاص "

جزر منعزلة

كيف ترى دور التيارات المستنيرة الآن ؟

- المشكلة أن تيارات الاستنارة - الآن - جزر منعزلة ، فليس هناك جهد منسق لتيار كامل تتآلف وتتوحد فيه الصفوف ، الموجود حاليا لا يمثل جبهة وحائط صد للدفاع عن المجتمع المدنى ، وإن وجدت محاولات فردية من بعض الصحفيين والكتاب والمثقفين ، وأعتقد أن وجود هذه الجزر المنعزلة عبارة عن جزء من أزمة السياسة فى مصر ، فماذا تتوقع من نظام سياسى ينبع من ليبرالية اقتصادية ، هناك تجاوزات فمازلنا نحكم بدستور غريب الشكل متناقض فى أحكامه ، فهناك مسميات به لا توجد فى الواقع المعاش ومازالت تطلق وتردد مثل " تحالف قوى الشعب العامل " و " المدعى العام الإشتراكى " مما يذهب بنا إلى باب " النكت والنوادر " وهذا الهزال الدستورى جعل أجنحة الاستنارة - وسط الجماهير - قاصرة وتكاد تكون معدومة .

دعوى الإصلاح

هذا يأخذنا إلى ما يطرح الآن من دعوى الإصلاح بمستوياته المختلفة ، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية .. إلخ ، كيف ترى الإصلاح الحقيقى ؟

- أولا سأعود بك إلى كلمة موجودة فى " الميثاق " الذى تعلمنا منه مبادئ كثيرة فى بداية عهد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وهى " العبيد قادرون على رفع الأحجار ، ولكن الأحرار وحدهم قادرون على التطلع إلى النجوم " فالحرية - يا صديقى - هى الأساس ، ولها مؤسسات لابد أن تقوم على دستور مستنير يضمن الحقوق الأساسية للمواطنين ، وهذا يكون إفرازا لمؤسسات ديمقراطية تنتج عملا حزبيا مفتوحا ، وهذا يتطلب عدة أمور منها:

ضرورة إطلاق حرية إصدار الصحف ومنع ملكيتها للدولة لأنه من الخطأ الكبير الذى أدى إلى عجز الجماهير عن التعبير عن نفسها هو وجود - ما يسمى - بـ " صحف الحكومة " ، كذلك لا بد من تحديد مدة لرئيس الجمهورية واختياره من بين أكثر من مرشح .

فلا سبيل للإصلاح فى أى مجال من مجالات الحياة إلا ولا بد أن يسبقه الإصلاح السياسى ، كذلك لا بد من العودة إلى الخطاب الجماهيرى ، وضرورة رفع الوصايا عن الشعب والحجر على حريته والكف عن مقولة أن المصريين ليسوا على قدر الديمقراطية فليس من المعقول أن نسمع مثلا عن حركات شعبية وديمقراطية فى السنغال وزامبيا وبلاد تركب الأفيال ولا نسمعها فى مصر .

البعد الاجتماعى
رغم اهتمامك بالبعد الاجتماعى فى مسلسلاتك المختلفة إلا أنك لم تطرح قضايا اجتماعية مهمة كالإرهاب والتطرف ، مع العلم أن كتاباً أخرين قد طرقوا هذا الباب ونجحوا فيه ؟

- لا .. بل أنا أول من طرق هذا الباب فى مسلسل " ليالى الحلمية " فى الجزء الخامس وفى فترة كانت تخفى الحكومة فيها أبعاد القضية ، تكلمت على لسان إحدى الشخصيات وهى " توفيق البدرى الصغير " الذى يفقد القدرة والمثل الأعلى فيلجأ إلى الجماعات المتأسلمة ، وكانت هذه الشخصية تظهر لأول مرة فى عمل درامى على شاشة التليفزيون فى نهاية الثمانينيات أما فى السينما فقد أبرزها فى البداية المخرج الراحل سعد عرفة فى فيلم " الغرباء " .

وللعلم تعرض الجزء الثالث من " ليالى الثالث " لمجزرة رقابية نظراً لأنه تعرض للظاهرة بشكل موسع وحينها اعتذرت عن إكمال المسلسل لولا صفوت الشريف - وزير الإعلام فى ذلك الوقت - الذى اتصل بى وأقنعنى بالاستمرار

وللعجب اعترفت الدولة بعد ذلك بأسابيع قليلة عن وجود موجات عنف وإرهاب ، وهو ما تنبأ به المسلسل قبل ذلك بمدة طويلة .

دراما حيادية
فلماذا - إذن - يداخلنى إحساس بأنك تكتب دراما يمكن أن نسميها بـ " الحيادية " تعتمد على تفاصيل خاصة للشخصيات دون التركيز على أبعادها المختلفة وتوجهاتها ؟

- الكتابة عن الأشياء الصرفة فى حد ذاتها سياسة : علاقة الحب فى صلب السياسة لأنها ليست علاقات مجردة عن الصلة بالمجتمع ، أما إذا كنت تقصد التعرض للقضايا المباشرة فأنا مؤمن بمقولة " أن تضمن ولا تصرح " فأردأ أنواع الفن هو ما يأتى بطريقة مباشرة ، فالتجربة الفنية بحاجة إلى اختمار حتى تخرج مضفرة بموضوع اجتماعى واحيلك إلى الجزء الخامس من " ليالى الحلمية " أيضا حيث اتهمت بأننى تخطيت الخط الأحمر ، ومازلت أعاقب حتى الآن بسبب ما طرحته من قضايا شائكة فى هذا الجزء .

الأدب المقروء

بدايتك القصصية كانت مبشرة خاصة فى مجموعتيك القصصيتين " خارج الدنيا " و " مقاطع من أغنية قديمة " والصادرتين فى أوائل السبعينيات من القرن الماضى ، فلماذا لم تحاول تحقيق المعادلة الفنية فى كونك أديبا مقروءا وأديبا مشاهدا وهذا ما حققه من قبل الروائى الكبير نجيب محفوظ ؟

- الأستاذ نجيب محفوظ كان معروفا على مستوى النقاد وقراء الأدب وقد أسس لرحلته العظيمة عبر مروره بصعاب لا أول لها ولا أخر ، أما نحن فقد وجدنا مشكلة انعدام القراء ، وهى نقطة عادت بالسلب على كاتبين كبيرين وهما " إبراهيم أصلان " و " صنع الله إبراهيم " ليسا معروفين لدى الناس رغم تميز إبداعهما وقد قلت فى حديث مع الكاتب الراحل عبد الفتاح الجمل إن " عدد كتاب القصة فى مصر أكبر من قرائها " .

إذن ، فالوصول للمتلقى مسألة ضرورية لذا كان من الضرورى الانتقال لمرحلة الدراما التليفزيونية التى أتاحت الفرصة إلى الوصول للمتلقى متخطياً عائق الأمية الثقافية ومع ذلك لم أهجر أرض الأدب المقروء فقد أصدرت بعد ذلك ثلاث روايات وهى : " أحلام فى برج بابل " و " منخفض الهند الموسمى " و " وهج الصيف " بالإضافة إلى مسرحية " الناس إللى فى التالت " وعدة كتب فى النثر الفنى وهى : " أوراق مسافر " و " همس البحر " و " تباريح خريف " مع العلم أن الدراما التليفزيونية هى أحد الأجناس الأدبية الجديدة .

الأهالى أكتوبر ٢٠٠٤

الشاعر محمد آدم :
مصادرة دواوينى جعلتنى أعتزل الحياة الثقافية . . !!

محمد آدم شاعر مصرى ينتمى إلى جيل السبعينيات مثيرا للجدل منذ ديوانه الأول " متاهة الجسد " والذى صدر فى منتصف السبعينيات مروراً بكتاب " الوقت والعبارة " و " هكذا عن حقيقة الكائن " و " نشيد آدم " و " حجر وماس " وغيرها من الإصدارات الشعرية التى حملت خصوصية ما ، وخلافات أكثر ، فقد تعرضت كثير منها للمصادرة مما جعل الشاعر يختار عزلته الاختيارية لمدة تزيد على عشر سنوات ، قابلناه ، وكان لنا معه هذا الحوار :

محمد آدم شاعر مشاكس - رغم عدم تواجده الإعلامى - إلا أن قصيدته تفرض نفسها - دائما - بمنطق المغايرة هل ترى أن تلك المغايرة وليدة اللحظة أم وليدة سنوات طويلة من الممارسة الداخلية للكتابة ؟ وهل هذه الممارسة كانت فى صالحك أم جاءت ضدك ؟

أنا لا أؤمن بما يسمى " شعرية اللحظة " الكتابة عمل شاق وطويل يتشكل عبر " الزمن والوعى ، " الزمن لأنه يشكل صورة الإنسان فى التاريخ ، والوعى هو رؤية هذه الصورة ، فإذا كنت تقصد "وهذا ما لا أظن " أن نصى وليد لحظة الكتابة فهذا ما لا يمكن أن يتوافر لا لى ولا لنصى ، أما إذا كنت تقصد هذه اللحظة المغروسة فى الزمن والتى تشكل من خلالها النص فأنا ابن هذه اللحظة بالفعل .

تقول لى إننى شاعر لست إعلامياً ، أستطيع أن أؤكد لك أن النص الجيد يدافع عن نفسه ، وأن الشاعر الذى يدافع طوال الوقت عن نصه هو شاعر فاشل بالأساس لأن النص إذا لم يحمل مبررات وجوده فلا قيمة له على الإطلاق ، أما عن سنوات العزلة فكان على أن أعيد قراءة التراث العربى كاملا من نص شعرى إلى نص فلسفى إلى نص كلامى ، وحتى تفسير النص الدينى نفسه ، لكى تتشكل هذه المخيلة ، ويتشكل كذلك معها وعيى الخاص ، هذا الوعى الذى يمكن أن يكون صائباً أو صحيحاً إلا إذا كان نابعاً من هذه الثقة أو ذلك التراث ، وإلا اعتبرت الرؤية خارجة عن الزمان والمكان والوعى .

توظيف الموروث

ألم تخف أن يأخذك الإغراق فى التراث إلى شىء من الغموض والتباس الرؤية ؟

- على أن أوضح أولاً أن التراث هنا لا يعنى الانكفاء على رؤية سابقة والاستغراق فى كتابة لا تتحاور مع الواقع ، كان على أن أعيد حرث التراث حرثاً كاملاً حتى إذا تمردت عليه ، وأنا بالفعل متمرد على هذا التراث من ألفه إلى يائه يكون لتمردى المبرر الصحيح ولا يمكن لأى كتابة متمرده مغايرة منثورة إلا إذا كانت هادمة لهذا التراث وثائرة عليه أما ما تشير إليه من ناحية الغموض علينا أن نفرق بين نوعين من الغموض ، الغموض لذاته وهو نوع من العجز أو الافتعال ، أو عدم اكتمال التجربة ، أما غموض الكشف والفتح فهو غموض مبرر لأن كل فاتح عظيم لا بد أن يكشف عن أرض غامضة بالأساس .

رغم ذلك فأنت تنتمى إلى جيل متهم بالغموض على مستوى اللفظ والرؤية ؟

أنا أستطيع أن أتحدث عن نفسى - فقط - كان على كما قلت لك أن أعيد اكتشاف العالم من خلال الذات واللغة ، وأنا من أولئك الذين أرادوا أن يتوغلوا - بعيدا - إلى منطقة محرمة تحريماً يكاد يكون تاماً وكاملاً وهى منطقة الجسد ، هذه المنطقة بالذات تستلزم مغامرة إبداعية على مستوى اللغة والرؤية كذلك .

فما كان يمكن لتجربة تدخل إلى أرض المحرمات تلك دون أن تحمل معها مغامراتها على مستوى اللفظ والرؤية كذلك .

وتر المصادرة

البعض يرى أن فى تلك المغامرة لعبا على وتر المصادرة ، وبالفعل أنت تعرضت لمصادرة نصين هما : " أنا بهاء الجسد واكتمالات الدائرة " و " هكذا عن حقيقة الكائن وعزلته أيضا " ؟ فهل ورطت نفسك فى ذلك أم النص هو الذى ورطك ؟

- أسمع - لا يوجد كاتب حقيقى على مستوى العالم يكتب نصاً من أجل المصادرة أنا أكتب من أجل أن يقرأنى الناس ، من أجل أن يعيد الناس اكتشاف نصى من خلال لغتى ورؤيتى ، والكاتب الذى يكتب لكى يثير سلطة ما أو يؤلب جماعة دينية ما عليه هو كاتب خارج الكتابة بالأساس .

لحظة الكتابة هى لحظة مغامرة غير محسوبة على الإطلاق ، ليس معنى هذا أنها كتابة فوضى وإلا بقى الغرض من الكتابة ، وحينما أقول مغامرة فهى مغامرة

محسوبة ـ فقط ـ بقوانين الفن والرؤية بكل تشكيلاتها الجمالية والفلسفية فكما قلت لك مغامرتى كانت من أجل استجلاء واستكشاف كل ما هو محرم ومقدس لكى أغامر داخل هذه المنطقة الخطرة فكان لابد أن أتجرد من كل خوف أو حسابات ، الشرط الوحيد فى الكتابة كان شرط المغامرة من خلال اختلاف الرؤية فلا أنا ورطت نفسى ولا النص ورطنى .

لغة العزلة

هل كانت مصادرة النصين السابقين سبباً فى انكفاء محمد آدم على التراث والرؤية الخاصة ، وانقطاعه عن الحياة الثقافية لما يقرب من اثنى عشر عاما ؟

لا .. لا ، أولاً ليست لدينا حياة ثقافية بالأساس وعلينا أن نصارح أنفسنا ، أنه لا توجد فى مصر حياة ثقافية بالمعنى الحرفى للكلمة ، وتكاد تكون مصر هى البلد الوحيد منذ ما يقرب من ثلاثين عاما أو يزيد ليس لديها مشروع ثقافى أو حتى ثقافة بالمعنى المتداول والمتعارف عليه وإلا فأين هى المجلات الثقافية التى يمكن أن أنشر فيها نصوصى ؟ أين هى الحركة النقدية الجادة والحقيقية التى تواكب هذه الكتابة ؟ ولكن على أن أعود سريعاً لسؤالك عن سبب العزلة ، تكاد ـ أيضا ـ تنفرد الثقافة العربية بظاهرة غاية فى الغرابة تنفرد بها عن الثقافات الأخرى كافة ، وهى كلما كان الكاتب أو الشاعر متواجدا ، سواء كان هذا التواجد إعلاميا أو سلطويا ـ والاثنان مرتبطان ببعض ـ كان موجودا فى الكتابة وبمجرد أن يختفى منهما يختفى الشاعر وتختفى معه الكتابة .

لم نتعلم حتى هذه اللحظة معنى العزلة أو التأمل ، أو الانكفاء على نص ما حتى ولو استغرق هذا النص عشر سنوات أو عشرين سنة ، الكتابة الحقيقية ـ يا سيدى ـ هى ابنة شرعية للتأمل الخالص والعزلة الطويلة لأنه لا يمكن أن تنضج طعامك إلا بعد فترة طويلة من الإعداد الحقيقى له أما كتابة الفعل ورد الفعل ، فهى كتابة خارج الزمن وخارج نص الكتابة ذاته .

نصوص شائكة

قلت فى سياق حديثك إن طبيعة نصك الشائك جعلت الكثير من المجلات تحجم عن نشره ، رغم ذلك وجدت أجزاء من النصوص المصادرة منشورة فى الثقافة الجديدة وإبداع وتحدثت أدب ونقد عنها ؟ ألا تعتقد أن فى رؤيتك هذه نوعا من جلد الذات ؟

ـ لا .. لا ، ليس جلدا للذات النصوص التى تتحدث عنها ونشرت فى إبداع كانت فى أوائل ثمانينيات القرن الماضى ، وكانت هذه النصوص بمثابة نصوص صادمة

أو مربكة بالأحرى ، الأمر الذى جعل الدكتور القط ـ وهو ناقد عظيم ـ يفرد لها بابا مستقلا وخاصا بها وهو " باب تجارب " ويا للمفارقة يتحول هذا الباب إلى محط أنظار الباحثين والدارسين على السواء ، وبعد أن تمت مصادرة " أنا بهاء الجسد واكتمالات الدائرة " فى عام ١٩٩٢ ، تخوف الكل ، وأصبحت نصوصى تشكل قلقا كبيرا لكل القائمين على المجلات وحتى دور النشر نفسها أصبحت تتوجس خيفة من نشر أعمالى لماذا ؟

لأنه وللمرة الأولى أعترف ، نوقش كتابى " أنا بهاء الجسد واكتمالات الدائرة " سنة ١٩٩٢ تحت قبة البرلمان باعتبار أن الدولة تنشر نصوصا خارجة عن القوانين ، ونصوصا تخترق المقدس ، الأمر الذى لم تعد تقبل فيه دور النشر على نشر نصوصى ، هذا الأمر لم يرهبنى ـ كثيرا ـ واستمررت فى إنجاز مشروعى الكتابى ، فأنجزت على مستوى النص كذلك " هكذا عن حقيقة الكائن وعزلته ـ أيضا " و " حجر وماس " و " نشيد آدم " و " متاهة الجسد " كل هذه النصوص لم تنشر " نشر عام " الأمر الذى صنع بينها وبين القارئ ألف حاجز وحاجز باستثناء " حجر وماس " الذى نشر على استحياء فى " كتابات جديدة " وفى خلال أشهر قليلة نفد كاملاً ، الأمر الذى أعطانى مؤشراً حقيقياً بأن النص يدافع عن نفسه وليس بحاجة إلى واسطة ، ثم أين هى المجلات التى تتحدث عنها ومن هو القائم عليها ؟!!

نشيد آدم

فى تجربتك الأخيرة " نشيد آدم " نرى طابعاً ملحمياً " أخذ النص الشعرى إلى أجواء متعددة على مستوى تقنية الكتابة وعلى مستوى الرؤية ، هل جاء ذلك نتيجة مراجعة لنصك القديم ، الذى كان يعتمد على الجسد أم أنت تحاول أن تثبت طواعية الكتابة لديك وأن نصك قادر على التشكيل والتغاير مع اللحظة الراهنة ؟

ـ أنت محق ـ تماماً ـ فى أن " نشيد آدم " أخذ طابعاً ملحمياً وهى منطقة لم يجرؤ شاعر فى العربية أن يقترب منها أو يدخلها لأن هذه المنطقة ـ منطقة الملحمية تحتاج إلى كاتب أو شاعر هائل الثقافة والوعى باللحظة والوعى بالتاريخ .

باختصار الوعى بالمنجز الثقافى الكونى فى " نشيد آدم " حاولت أن أبتعد كثيراً عن منطقة الجسد التى ربما أن تكون قد استهلكتنى أو استهلكتها لمدة تزيد على العشرين عاما ، وكان على " وأنا خريج قسم الفلسفة " أن أعيد استبصار اللحظة التى أمر بها الآن وهى لحظة سقوط مروعة تتشابه فى كل لحظات السقوط الإنسانية الكبرى فى التاريخ ، لحظة اجتياح المغول ولحظة سقوط الأندلس وهذه هى لحظة السقوط الثالثة .

فكان على ـ كما قلت لك ـ أن أعيد استبصار الذات من خلال لحظة السقوط ، هذه اللحظة فى " نشيد آدم " جعلتنى أقف أمام السؤال الكبير عن " المصير الإنسانى المضمحل " وكيف يمكن التعبير عن لحظة السقوط هذه فكان " نشيد آدم " بمثابة نص ملحمى للتعبير عن هذه اللحظة ، ومحاولة سند قامة السماء حتى لا تسقط على الأرض من خلال صياغة هذا النص .

إنها أزمة الإنسان المعاصر باختصار !!

obeikandl.com